أنا وأولادي والعدوان على غزة

سما حسن

عشت حياة غير عادية، حاصرتني غزة بعاداتها وتقاليدها وقوانينها، ولكني استطعت أن أنتصر على كل هذا وأشق طريقي مع أولادي الأربعة الذين وصل ثلاثة منهم للمرحلة الجامعية واحتفظت بحضانتهم متحدية الجميع في اصرار واخترت أمومتي وقصرت حياتي عليهم، والآن تأتي الحرب على غزة لتقف في منتصف طريقي معهم، لنجد أنفسنا أنا وهم" ولدين وبنتين" في صراع جديد مع آلة الموت الصهيونية، ورغبة لا تتقهقر في الحياة وتحقيق أحلامنا....

لذلك أكتب لكم هنا جزءا من حياتي أثناء العدوان مع أولادي الأربعة كيف عشنا وكيف خفنا وكيف تجاوزنا، وكيف لا زلنا نحلم؟

حرب في رمضان

كانت الحرب في رمضان، وكان الحر والصيام هما سيدا الموقف في بداية الشهر، ولكن دخول القصف والغارات على الخط غيرا كل شيء، فأصدقكم أننا لم نعد نشعر بالجوع والعطش بقدر شعورنا بالخوف والرعب والترقب خاصة أن الغارات كانت تشتد مع أوقات الافطار والسحور وكأن الصهاينة يعلمون أهمية تلك الاوقات بالنسبة لنا، فعانينا كل المعاناة وكنا نجلس أرضا لتناول الطعام على " طبلية" وتركنا غرفة الطعام بسبب تهشم نوافذ البيت، وخوفنا من دخول شظية أو بقايا قذيفة ونحن نجلس إلى المائدة المرتفعة.

في ليلة العشرين من رمضان

سقط شهداء في بيتي ولذلك حكاية

في تلك الليلة عادت الكهرباء مع منتصف الليل مما يعني أن وقت السحور لم يحن بعد ، ولكني قررت أن استغل الكهرباء التي تصل لساعة أو أكثر قليلا، ومثلما يتندر أولادي فهي تأتي ك" مسحة زور" ، ثم تذهب، ولأن أنبوبة الغاز قد فرغت في هذا الوقت الحرج بالذات فقد اصبحت أؤمن فعلا بأن المصائب لا تأتي فرادى.

وهكذا تصرفت ، وضعت الماء في الابريق الكهربائي الذي يطلق عليه العامة في غزة" الكمكم" وانتظرت حتى غلا الماء فنقلته إلى آنية حفظ السوائل الساخنة" التيرموس" واضفت له الشاي واحكمت اغلاقه لكي اضمن بقاءه ساخنا حتى موعد السحور، ثم قمت بتشغيل الفرن الكهربي الصغير ورصصت بداخله اربعة ارغفة لتسخينها، فما لدي من خبز ليس طازجا ولا هشا وبالتالي فهو لا يشجع كثيرا على تناوله، فلم أعد قادرة على الخروج لشراء الخبز الطازج يوميا، وهكذا تركته في الفرن لكي يسخن كما أفعل دائما ثم اقوم باخراجه من الفرن ولفه بقطعة من قماش الصوف ثم اضع فوقه بطانية وذلك لكي اضمن بقاءه ساخنا، وأفعل ذلك كثيرا في فصل الشتاء.

ولكن تجدد القصف فجأة وبصورة وحشية جعلني انسى تماما أرغفة الخبز في الفرن، وبدأنا نتجمع في غرفة ابنتي المنزوية لان القصف كان يحيط بنا من جهات ثلاث وقدرنا أن غرفتها ستكون آمنة، ولكن بعد دقيقة بدأنا نشم رائحة احتراق وهنا تذكرت الخبز الذي تركته في الفرن.

اسرعت إلى المطبخ رغم صيحات صغاري وأطفأت الفرن بسرعة واخرجت الأرغفة المتفحمة ووضعتها على باب الشقة لكي لا تملأ رائحة الاحتراق البيت كله، وعدت لدوري التقليدي وهو دور المنبطحة ارضا في غرفة ضيقة.

بعد انتهاء موجة القصف وهدوء الجو حولنا قليلا، خرجنا من الغرفة وأدخلت الأرغفة إلى داخل الشقة فبدا منظرها متفحما ومنتفخا وهنا علق ابني الأكبر بسخريته المعتادة: وهكذا ونتيجة للقصف المتجدد بصواريخ ال اف ١٦ فقد استشهدت اربعة أرغفة في فرن ماما وتحولت لأشلاء متفحمة، وسيتم تشييع جثمانها بعد صلاة الفجر وتناول ارغفة اخرى "رحمة ونور" على روحها.....

أزمة مياة

استيقظ ابني صباحا وقال لي: ماما بدي اخد دش ، حرام هيك، صار لي أسبوع بأحلم بدش ، طبعا

أزمة المياة حدث ولا حرج بسبب العدوان، واصبحنا نشتري الماء بالصهاريج وندفع مبالغ مضاعفة تثقل ميزانية بيتي، فأجبته: انا موافقة

فرح ابني وأخرج ملابسه من خزانته ولكني قلت له محذرة: خلي بالك أمامك ثلاث دقائق لتنهي " الشاور " الخاص بك

دقيقة لتخلع ملابسك

دقيقة لـترش جسمك بالماء

دقيقة لترتدي ملابسك

فرد علي: الافضل أن أعلق على صدري لافتة وأكتب عليها: هذا الشاب سبق استحمامه.....

ثم أكمل في حسرة: لو ما في قصف على شط البحر كان رحت أخدت غطستين في البحر وخلصنا.....

..... وأيضا وفي ظل تقليص الماء أقسمت لأولادي اني اتوضأ بكوب ماء صغير سعته نصف لتر، ولم يصدقوا فتوضأت أمامهم كنموذج يجب ان يتبعوه، وامعانا في توفير الماء اشترينا بعض أقراص الفلافل من البائع المحاذي للبيت ولفها البائع في كيس ورقي ، وحين اصبحت على المائدة قبل الافطار لم اضعها في طبق بالطبع، فيجب أن اوفر طبقا كي لا اضطر لغسله بالماء، فأمسكت بالكيس الورقي ومزقته نصفين وابقيت على اقراص الفلافل بداخله واصبح الكيس بمثابة الطبق.....

كم أسرح وافكر باختراع طرق جديدة لتوفير الماء، ماذا عن التيمم للوضوء؟

هدنة أم ماراثون بين الحياة والموت

قرار الهدنة لمدة ٧٢ساعة أعاد لي ذكريات كتاكيت جدتي حين كانت تطلقهم من القن ليسرحوا وقت الضحى في حوش الدار هنا وهناك ثم تجمعهم بعد قليل مع أمهم وتعيدهم للقن وتحسن اغلاقه خوفا عليهم من القطط.

ولكن نحن في غزة خرجنا من القن وسنعود له في انتظار الموت ثانية على دفعات ورشقات ، ولكن رغم ذلك كان خروجنا لحوش الدار يشبه كثيرا تقافز كتاكيت جدتي وحيرتها أين تقف واين تتقافز وكانها تعلم أن فسحتها قصيرة وعودتها للسجن في القن المظلم قريبة وطويلة.

في قلب المدينة لا يجب ان تفكر بالشراء او الذهاب للبنك أو محل الصرافة، فقط عليك النظر نحو الحشود والتجمعات البشرية فالجميع على عجل ، وانت مثلهم ولكن ان فكرت أن تقف في طابور

البنك مثلا فسينقضي الوقت ولن تجد وقتا لتقف في طابور بيع خزانات المياه الضخمة لتخزن الماء.

احترت من اين ابدأ حين كنت ازحف من طرف المدينة إلى عمقها، نظرة من خلال نافذة سيارة الاجرة إلى الطوابير حول البنك جعلتني لا افكر بالمرور أمامه.

طردت فكرة طابور البنك خاصة مع ما اشعر به من انهاك خصوصا أني لم انم دقيقة بسبب تزايد وتيرة القصف قبل اعلان الهدنة، وقررت أن ابحث عن محل يبيعني خزانا للماء.

اشتريت الخزان وطلبت من " سائق توكتوك" أن يوصله لبيتي، وبحثت عن بعض الخضار لأشتريها فوجدتها غير طازجة وبعضها غير متوفر حتى النعنع والبقدونس وكنت بحاجة لهما لأني قررت ان اعد طبقا من الفتوش اليوم.

الخوف واللهاث والقن الذي ينتظر ، ومواعيد الموت المؤجلة والمنتظرة كلها تزاحمت في عقول وقلوب هذه الحشود والتجمعات البشرية ، وفيما كانوا يبتاعون لحياة قصيرة كان هناك من يستعد لتشييع أقارب واحبة تم العثور عليهم بين أنقاض انهارت منذ أيام فوقهم.

وهناك زيارات للمشافي القريبة، وجلسات قريبة في بيوت عزاء، ونظرات متوجسة نحو السماء تسأل : ما القادم؟ وهل هو الأسوأ....؟

أولادي .....وفد مفاوضات

لا يخلو بيتي من المناقشات السياسية في ساعات انقطاع الكهرباء، حيث يدلي كل واحد برأيه بخصوص الوضع الراهن، ويحتدم النقاش واحتار انا في الانحياز لأحدهم دون الآخر، بالأمس جلسنا نتناقش بشأن المفاوضات الجارية في القاهرة واقترح ابني الأكبر وهو أكثرنا عقلانية ولا ينحاز لمشاعره غالبا مقترحا حيث قال لي : نتنياهو يطلب ضمانات دولية لكي يتأكد أن مواد البناء التي سيتم ادخالها لغزة لن يتم استخدامها في بناء الانفاق، يعني يا ماما لما بدنا نصلح شباك الحمام في شقتنا واللي انكسر مع اطاره بعد قصف بيت الجيران المجاور وأصبح بحاجه لكيس من الاسمنت لتثبيت الاطار في الجدار، معنى ذلك علينا ان نطلب مندوبا من الامم الامتحدة لكي يتابع اجراءات شراء كيس الاسمنت وعملية الترميم واذا تبقى شيء من الاسمنت عندنا نسلمه للمندوب.....

ضحكنا كثيرا وهكذا هي مناقشاتنا التي نحاول ان نخرج بها من جو الحرب حولنا والتي جعلتني اكتشف ان ابناء هذا الجيل لديهم الوعي والانتماء الوطني وليس كما كنت دائما اردد أمامهم: انتو جيل انترنت، انتو جيل فيس بوك ..